Journal of Faslo el-khitab مجلة فصل الخطاب
ISSN: 1071-2335/ E-ISSN: 2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 09، عدد رقم: 03، سبتمبر 2020، صص: 37- 54

تاريخ الاستلام (2020/07/02) تاريخ القبول (2020/08/27) تاريخ النشر (2020/09/30)

مناسبة المقام وتجلياتها في الموروث القديم "دراس ة في الكيفيات والأبعاد"

The Appropriateness of the Context and its Manifestations in the Ancient Inherited/Patrimonial "A study of Modalities and Dimensions"

غربي بن صالح[1]، كراش بن خولة[2]

[1] مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة تيارت (الجزائر)، slhgh92@gmail.com

[2] مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة تيارت (الجزائر)، kerrachebenkhaoula@gmail.com

ملخص:

تهتمّ هذه الدّراسة ببيان وجوه مناسبة المقام في الموروث القديم، لمعرفة دوره وتأثيره في العملية الكلامية، وكذا معرفة الأحوال التي تجب مراعاتها أثناء هذه العملية حتى يكون الكلام مطابقًا لمقتضى المقام، وتمّ إيضاح ذلك بشواهد متعدّدة لبيان الكيفيات المختلفة لهذه المطابقة.

وتوصّلنا من خلال هذه الدّراسة إلى وجوب مطابقة المقام حتى يكون الكلام بليغًا ومفهوما، وأنّ المقام يقتضي مجيء الكلام بكيفيات مخصوصة، وبتغيّر المقام تتغير هذه الكيفيات ضمن سياق الكلام.

المؤلف المرسل: غربي بن صالح، الإيميل: slhgh92@gmail.com

كلمات مفتاحية: المقام، المناسبة، البلاغة، مطابقة المقام, مقتضى الحال.

Abstract:

This study is concerned with showing the context facets appropriateness in the ancient patrimonial, in order to know its role and influence in the verbal process, as well as knowing the conditions that must be taken into account during this process so that the speech is identical to the requirements of the context. This has been clarified by multiple evidences to show the different modalities of this conformity. And through this study, we reached the necessity of conformity to the context in order for the speech to be eloquent and understandable, and that the context requires the coming of speech in specific ways, and with the change of the context, these modalities change within the context of speech.

Keywords:

Context, appropriateness, rhetoric, context conformity, situation requisite.

1. مقدّمة:

يحكم الكلام نوعان من السّيّاق، سيّاق داخلي وسيّاق خارجي، أمّا السيّاق الدّاخلي فهو سيّاق النظم الذي يحدّد الدّلالات ويحصُرها بمعونة القرائن اللّغوية، وأمّا السيّاق الخارجي فهو الذي يفرض نوع السّيّاق الدّاخلي ويتحكّم في طريقة إخراجه للوجود، وماهو إلّا مجموعةٌ من العوامل الخارجية التي تقتضي مراعاتَها من طرف المتكلّم، وهي ما يُصطلح عليه بـ: "المقام (الحال)" الذي يتحكّم في النّص والكلام.

لأجل هذا اهتمّت البلاغة العربية بالمقام وبنت عليه جانبًا مهمّا من درسها، حيث تعتبر البلاغة مقامية بطبعها تراعي الظروف والأحوال المحيطة بالخطاب، فكل خطاب يجب أن يكون متوافقا مع هذه الأحوال متماشيا مع مراتب النّاس ونفسيّاتهم، وأحوالهم العلمية ومراتبهم الاجتماعية.. إلخ، فالبلاغة هي إيراد الكلام الفصيح ملائما لمقامه، وهذا أوسع أبواب الدّرس البلاغي، فالبلاغة هي المقام.

ومن هذا كلِّه نطرح الإشكالية التّالية: ما مدى مساهمة المقام في تناسب الكلام وعناصره من مُخاطِب ومُخاطَب وخطاب؟

- ويكمن هدف هذه الدّراسة في التعريف بالمقام في الفكر البلاغي العربي القديم، وبيان كيفيات مرعاته وأهميته وأدواره ضمن العملية الكلامية، ومن ثَمّ معرفة وجوه مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

- وأمّا المنهجية المتّبعة في الدّراسة فقد اعتمدت على جمع وترتيب مظاهر مناسبة المقام في الفكر القديم، وفق منهج وصفي وآخر تحليليّ بغية الإحاطة بهذه المظاهر المختلفة التي اعتنى بها البلاغيون القدامى ضمن حديثهم عن مراعاة المقام، وأسفر ذلك عن بيان وجوه مطابقة المقام من جهتين: من جهة المُخاطَبين وأثرهم على المتكلّم في كيفية إخراجه للكلام؛ ومن جهة الخطاب وأثر المقام فيه وكيفيات توافقه مع المقام.

2. مقام المخاطَبِين (معرفة أقدار السّامعين):

وهو أن يكون المتكلّم على دراية بصنوف من يخاطبهم، ثم يجعلَ كلامه على درجة كلّ صنف، فمناط الحديث أن يكون الخطاب على قدر فهم المخاطَب ووُسعه اللّغوي والفكري، حتى يكون الخطاب واضح المقاصد لئلّا يسوء فهمه، بحيث تقوم البلاغة على مراعاة أقدار المُخاطلبين ومشاكلة حديثهم ومعرفة طبقة حديثهم، فمنهم من يكون حديثه بالساذج من الألفاظ ومنهم يحتاج إلى الواضح ومنهم يُحدّث بالغريب «فإنَّ أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله، وفهم العامة معناه»[1]، وقد اهتمّت البلاغة بأقدار السّامعين، وجعلت من شروط البلاغة «توخّي الدّقة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعات من يكتب لهم أو يلقى إليهم»[2]، فيجب أن يكون الكلام مراعيًا لأحوال المُخاطَبين حتى يكون بليغًا.

وبناءً على هذا فلا يصحّ –على الدّوام- ما نقل الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد: «يكفي من حظِّ البلاغة ألاَّ يُؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يُؤتَى الناطق من سوء فهم السامع»[3]، وقولُه: «أمَّا أنا فأستحسن هذا القول جدًّا»[4]، فمدار البلاغة قائم على مراعاة عقول السّامعين، وإن كان في الكلام من سوء فهم وإفهام بين السامع والناطق، فذلك راجع إلى عدم مراعاة المقام؛ ولأهمية هذه المراعاة فقد ثبتت في القرآن والسّنة والأشعار وعند النقاد والبلاغيين، وتفصيل هذا كالآتي:

2. 1- مقام المخاطَبين في القرآن الكريم والسّنة النبوية:

أنزل الله القرآن موافقًا لمراتب من أنزل فيهم فخاطبهم بما يليق بهم، وجعل لكل صنفٍ من أصناف النّاس خطابًا ولوّن في الخطاب على قدر كلّ صنف، وفي هذا يقول الجاحظ: «ورأينا الله تبارك وتعالى، إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطا، وزاد في الكلام»[5]، وعقّب "الرّافعي" على هذا القول بما مفهومُه أنّ "العجم ليسوا أهل سليقة ولا علم لهم بوجوه التصرف في المعاني فكان تلوين الخطاب لهم مبالغةً في إفهامهم، بخلاف العرب الذين جرى الكلام على سليقتهم وسنن كلامهم فكان الاكتفاء في حديثهم باللّمحة الدّالة الموجزة، لسعة فهمهم"[6]، فالإيجاز يُناسب العرب الفصحاء لسعة فهمهم، والإطناب يناسب من هم دونهم في الفصاحة، فخاطَب القرآن كلّا على حسب فهمه وقدر عقله.

ومن هذا اللّون البلاغي في مراعاة أحوال النّاس ما ذكره "عبد الله دراز" عن أنماط الخطاب القرآني في "خطابه للعامّة وخطابه للخاصّة" وذكر وجوب هذه المراعاة بقوله: «فلو أنّك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذي تخاطب به الأغبياء لنزلت بهم إلى مستوًى لا يرضونه لأنفسهم في الخطاب، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة التي تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم، فلا غنى لك - إن أردت أن تعطي كلتا الطائفتين حظها كاملًا من بيانك- أن تخاطب كل واحدة منها بغير ما تخاطب به الأخرى»[7]، وهذه القيمة الفنية "تجدها حاضرة مُستوفاةً ضمن الخطاب القرآني كلّه"[8]، وهذا دليل على مراعاة القرآن لمُخاطبيه، وإقرانه لكل صنف من النّاس صنفًا من الخطاب، وهذا يجعل النّص القرآني متميّزا بديعا واضح الغايات والمقاصد.

ومن بدائع التعبير القرآني ولطف مراعاتِه اعتمادُه على الواضح المكشوف من الألفاظ حتى لا تلتبس على النّاس أمور دينهم ودنياهم، فإذا خاطبهم بالغريب كان ذلك مراعيا للمقام، كقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ إِذا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (سورة النجم: الآية: 22) فلفظة: ﴿ضِيزَى﴾ غريبة، إلا أنّها حسنة في هذا الموضع لمراعاتها لفواصل الكلام قبلها،

ولو جاءت كلمةٌ غيرُها لاختل انسجام السّورة*؛ إضافة إلى أن المقام مقام إنكار وغرابة بأن نسبوا لله البنات سبحانه ونسبوا لأنفسهم الذّكور، و"منه كانت اللّفظة الغريبة ملائمة لغرابة قسمتهم فهو تشنيع لهم وتهكُّمُ بحالهم"[9]، فإنّ المقام في هذا الموضع اقتضى خطاب هؤلاء المشركين باللفظ الغريب، وهذا ما لا يمكن تمام مقصوده بالواضح من الألفاظ.

والخطاب القرآني في عمومه غنيٌّ بلطائف مطابقته لأقدار المخاطَبين، فخطابه للمرأة يختلف عن خطابه للرّجل وتختلف الأحكام المترتب على كل منهما، وكذا خطابُه للمؤمنين غيرُ خطابِه للمشركين..، وهكذا يتلون الخطاب بحسب كل فئة من الناس ذمّيّهم ويهوديّهم ونصرانيّهم.. على الوجه الأنسب لكلّ فئة من هذه الفئات.

وقد جاء في السّنة النبوية ما يدل على أهمّية هذه المراعاة، ففي الصحيح عن علي موقوفا: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ»[10]، ونحوُه ما في مقدمة صحيح مسلم عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[11]، وقال النبي ﷺ: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم»[12]؛ وفي حديث آخر: «أنزلوا الناس منازلهم»[13]، وهذا كلّه ليدلّ على أهمية مراعاة الناس على حسب مراتبهم وعلى قدر عقولهم، حتى يكون الكلام مفهوما متوافقًا مع الطائفة المُرادِ التّوجهُ بالحديث إليها.

ومن أمثلة هذه المراعاة في السُّنة: «أنّه لما قدمت وفود العرب على النّبي -ﷺ- قام طهفة بن أبي زهير فقال: أتيناك يا رسول الله من غُورَي تهامة"[1]" على أكوار الميس"[2]"، ترتمي بنا العيس، نستجلب الصبير"[3]"، ونستخلب الخبير"[4]"، ونستعضد البرير"[5]"..»[14]، فأجابهم رسول الله -ﷺ- بقوله: «"اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها"[1]"، وابعث راعيها الدثر"[2]" بيانع الثمر، وافجر له الثمد"[3]"، وبارك له في المال والولد..»[15]، فإنّ الخطاب هنا يتمتّع بالغرابة فاقتضى ذلك مشاكلة حديثهم، ولو أنّه خاطبهم بالواضح المكشوف من الألفاظ لم يحسُن بقدر حسن مخاطبتهم بالغريب، وهذا من فصاحة النّبي صلّى الله عليه وسلم ومراعاته لأحوال مُخاطَبيه.

2. 2- مقام المُخاطبين عند النّقاد والبلاغيين والشّعراء:

تحدّث النقاد والبلاغيون القدماء عن وجوب مراعاة أقدار السّامعين، وفي هذا يقول ابن قتيبة: «ونستحب به -الكاتب- أيضا أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام»[16]، فطبقات الكلام توزع على طبقات الناس ودرجات فهمهم؛ ويقول بشر بن المعتمر في صحيفته: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستَمِعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلِّ طبقة من ذلك كلامًا، ولكلِّ حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسِّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسِّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[17]؛ كما يجب مراعاة الأحوال الاجتماعية لجمهور المستعمين، «فَلَا يَقْصُرُ بِالرَّجُلِ الْعَالِي الْقَدْرِ عَنْ دَرَجَتِهِ، وَلَا يُرْفَعُ مُتَّضِعُ الْقَدْرِ فِي الْعِلْمِ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ، وَيُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ فِيهِ حَقَّهُ، وَيُنَزَّلُ مَنْزِلَتَهُ»[18]، فيجب أن يكون خطابه موازنا لمكانة كلٍّ منهم، «فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات ويتوقى حطها عن مراتبها وأن يخلطها بالعامة، كما يتوقَّى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك ويعدُّ لكلِّ معنًى ما يليق به، ولكل طبقة ما يُشاكِلها»[19].

فعلى البليغ أن يأخذ الاعتبارات العقلية والمراتب الاجتماعية للأشخاص، ويوازي بينها وبين خطابه، فيصنعَ لكل جنس من المستمعين حقّه من البلاغة، فالحديث مع الصّغير خلافُ حديثك مع الكبير وحديثُك إلى المرأة خلافُ حديثِك الرّجل، «وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي،... وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له.فمتقضى الحال هو الاعتبار المناسب»[20]، وعلى هذا كلّهِ، فمراتب النّاس مقام، ومقتضى المقام أن يكون الكلام على أقدار مراتبهم، فحديثك مع الصّبي مقام ومقتضاه أن تنزل بألفاظك إلى فهمه، وحديثك إلى الأمير مقام ومقتضاه أن تحّدثه بما يليق بالأمراء، وحديثك مع المرأة مقام وحديثك مع الرّجل مقام ولكلّ مقام مقتضاه الذي تجب مراعاته حتى

يحصل الإفهام ولا يسُوء الفهم، فـ«مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم»[21]، وهذا هو مقتضى المقام.

ومن الشواهد الشّعرية التي توضح مراعاة أحوال المخاطبين ما ورد عن "بشار بن برد لمّا سأله أبو نواس يا أبا معاذ، إنك لتجيء بالأمر المهجّن. قال: وما ذاك؟ فقيل: إنك تقول:

إذا ما غَضِبْنا غَضْبـةً مُضَـرِيّةً * هتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أو نمطر الدّما**

ثم تقول:

رَبابَـةُ رَبَّــةُ البَيـتِ * تَصُبُّ الخَلَّ في الزَيتِ**

لَها عَشْـرُ دَجاجاتٍ * ودِيكٌ حَسَنُ الصّوْتِ"**[22]

فأجابهم بقوله: "كلّ شيء في موضعه. وربابة هذه جارية لي، وأنا لا آكل البيض من السّوق، فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع عليّ هذا البيض وتحضره لي، فكان هذا من قولي لها أحبّ إليها وأحسن عندها من:

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)"[23].

فانظر إلى هذا التّحسين الذي أضفته هذه المراعاة، فرغم دُنوّ مرتبة البيتين في الفصاحة إلّا أنّهما كانا تامّي المقصود باعتبار أنّ السّامع يليق به هذا النّمط من السّذاجة في الكلام.

وأما إذا لم يوفق صاحب الكلام في مراعاة سامعيه وقع في الغلط، «وقد أنكر عبد الملك بن مروان على جرير ما هو دون هذا من القول وذلك أنه لما أنشده: (أَتَصْحُو أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِ) فقال له عبد الملك: بل فؤادك»[24].

فقد أخطأ جرير في هذا البيت ولم يراع مرتبة سامعه فعنّف عبد الملك وهو أمير المؤمنين دون قصد منه، فكان هذا مدعاةً للإنكار عليه في موضع أراد تشريف نفسه فيه.

3. مقام الخطاب:

يعد الخطاب عنصرا هاما في عملية مراعاة المقام، وأشار البلاغيون إلى وجوب مراعاة أحوال الخطاب من نواحٍ معروفة، إمّا من ناحية سياقه وهنا يدخل دور المقام

في إزالة الغموض والإبهام، وإمّا من ناحية الخطاب في ذاته ويدخل فيه أسلوب الخطاب وملاءمتُه للمقاصد، وملاءمةُ أحوال التّراكيب لمقتضيات المقام، وتفصيلها كالآتي:

3. 1- سياق الخطاب:

يعد السّياق عنصرًا أساسًا في تجلية غموض المعاني وإزالة ما بها من إبهام، لكون السّياق يحصر المعنى لتوافر القرائن اللفظية والمعنوية فيه، حيث يكمن دور دلالة السّياق –من هذه النّاحية- في أنها «ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله - تعالى -: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (سورة الدخان: الآية: 49)، كيف تجد سياقه يدلُّ على أنه الذليل الحقير»[25]، وذلك أنّ موضوعها في العذاب، فلا يحتاج العقل جهدا حتى يُدرك هذا المعنى، فالسياق والقرائن هي ما جعلت المعنى واضح الدّلالة على المراد منه في الآية الكريمة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ المعاني من حيث فهمها، قسمان: متعلقات بغيرها، ومستقلة بنفسها، فالمتعلقات بغيرها لا يمكن فهمها إلا من خلال معرفة ما تعلقت به من قصص وأحاديث مخصوصة، والمستقلة: قائمة بذاتها، لا حاجة منك لمعرفة سياقها لتمام مدلولها على المعنى المراد، وفي هذا يرى حازم القرطاجني "أن المعاني منها ما يحتاج في فهمه إلى مقدمة من معرفة صناعة أو حفظ قصة، لتوقّف المعنى على هذا المعارف. ومنها ما لا يحتاج في فهمها إلى مقدمة لوضوح معناها لدى الجمهور المخاطَب"[26].

ومنه فالمعنى غير المستقلّ لا يمكن فهمه إلّا من خلال مُتعلّقاته السّياقية، وذلك «بالنظر إلى مايقترن به من الكلام وما تكون له به عُلقة، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام مقولا فيه، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلّق به القول»[27]، والمتعلّقات تكون خارجية وداخلية، فأمّا الخارجية فتكون مرتبطةً بحدث خارجي يتم ردّه إليه حتى يفهم مقصد الخطاب، ومن هنا عني المفسرون والأصوليون عناية كبرى

بمعرفة أسباب النزول، وجعلوها أصلا من أصول تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام فيه، حيث تعتبر هذه الأسباب بجملتها مقام الخطاب القرآني والتي لا يمكن فهمها إلا به؛ وسيّاق النّزول «هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال»[28]، فأسباب النّزول تعتبر متعلّقات خارجية لا يمكن فهم الآيات إلا من خلالها.

وأمّا الدّاخليّة فتكون مرتبطة بسياق النّص اللغوي في عمومه ومن هنا يكون واجبا على المتفهّم والمستمع «الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره»[29]، وهذا السّياق الدّاخلي يُمكّن من فهم آيات القرآن ويوضّح مقاصدها، لأجل هذا لا يمكن عزل الآية عن سياق ما قبلها وما بعدها من الآيات، وقد رُوي عن مسلم بن يسار أنه قال: «إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللهِ فَأَمْسِكْ، فَاعْلَمْ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ»[30]، لأنّه لا يمكن معرفة مقاصد الآيات إلّا من خلال موقعها ضمن الآيات السّابقة واللّاحقة لها فإذا عزلت عنها قد يقتضي ذلك عدم تمام المراد أو عدم وضوح المقصد من سياق الآي الكريم.

3. 2- مطابقة الأسلوب لأنماط الخطاب ومقاصده:

تتنوع مقاصد الخطاب وتتعدّد أغراضها، بين تأثير وإقناع وترغيب وترهيب ومدح وهجاء وفخر ودعاء.. وقد أسماها تمام حسان غايات الآداء، ومنها: «الاتفاق والتشجيع والمصادقة والتثبيط والشتم والتمني والترجي واللعن والفخر والتحدي والتحضيض والاستخفاف والتحقير والتعظيم والإغاظة والإيلام والمعاداة والمدارة والتملق والنفاق والتحبب والغزل..»[31]، ولكلّ غاية من هذه الغايات أسلوبها الذي يليق بها، ويجب على البليغ أن يصنع لكلّ مقصد من الكلام نوعا خاصّا من الألفاظ والمعاني الملائمة له، يقول الجاحظ: «ولكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسّخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل،

والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال»[32]، فيجب تخيّر الأسلوب المُشاكل لمقصديات الخطاب المتنوعة حتى يكون الكلام تامّ المقاصد والغايات.

ومن هذا اللون أن تكون الألفاظ المُشكّلة للمعنى ملائمة لغرض المعنى، حيث تكون الألفاظ على قدر قوّة المعاني، «فتُختارَ الألفاظُ الجزلةُ، والعباراتُ الشديدةُ للفخرِ والحماسةِ، وتُختارَ الكلماتُ الرقيقةُ، والعباراتُ اللينةُ، للغزلِ والمدحِ»[33]؛ وإذا نظرنا إلى الغزل مثلا "وجدنا ألفاظه لطيفة مستعذبة مقبولة، غير مستكرهة، فإذا كانت جاسية مستوخمة كان ذلك عيبا"[34]، وإذا نظرنا إلى التّهديد والوعيد وجدنا ألفاظه قوية شديدة[35]، وهكذا فإنّ لكلّ غرض من الأغراض نمطًا من الألفاظ يلائمه ويقوي مدلوله ويناسب مقصده.

ومن هذا اللّون أيضا أن يكون الكلام في طبقة واحدة، فلا تكون الألفاظ المُشكّلة للمعنى متباينة بين غريبة ومستعملة وحضرية ومولّدة، يقول ابن طباطبا: «وكذلك الشاعر إذا أسس شعره على أنْ يأتي فيه الكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها وكذلك إذا سهل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القياد»[36]، فيجب أن يكون أسلوب الكلام في طبقة واحدة من الألفاظ غير متباين، فإنّ التّباين يُضعف الأسلوب، ويجعله بعيدًا عن التلاؤم والانسجام.

3. 3- مطابقة أحوال التراكيب لمقتضى الحال:

يعد الاستخدام اللغوي وطريقة الإخراج اللغوي الموافق للمقام من أهم قضايا البلاغة العربية في حديثها عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو ما عبر عنه القزويني في تعريفه لعلم المعاني «وهو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال»[37]، ومن لم يعرف كيف يتصرّف في أحوال التّراكيب أخرج المعنى عن مقصوده، «والحال هو الداعي للمتكلم إلى إيراد الكلام على وجه مخصوص، أي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما، وهي مقتضى الحال»[38]، فمقتضى الحال أدق حيث إنّ المقامات عموميات وأحوال خاصّة تحيط بالمتكلّم ومقتضى

الحال سَوْقُ الكلام وفق الوضع المحدّد، «مثلًا إنكار المخاطب للحكم حال يقتضي تأكيده، والتأكيد مقتضى الحال. ومعنى مطابقته له أن الحال إن اقتضى التأكيد كان الكلام مؤكدًا وإن اقتضى الإطلاق كان الكلام عاريًا عن التأكيد،... فالإنكار حال، والتأكيد مقتضى، وقولك "إن زيدًا في الدار" مؤكدًا بـ"إن" كلام مطابق لمقتضى الحال»[39].

وأنماط مطابقة الحال متنوعة، ولعل أهم هذه المقتضيات أبواب التراكيب، فالتقديم في الكلام لا يكون إلا لحال معين، كأن تقّدم للأهمية وللتّناسب وللحفاظ على الوزن، والحال هو الدّاعي لهذا التّقديم؛ وللتأخير حالٌ داع له، وللذكر والحذف وكل أحوال التّراكيب حال داعية لها، ولكلّ حال مقتضى يناسبه ويلائمه، وعلى البليغ التصفّحُ في مقتضيات الأحوال عند إيراد المسند والمسند إليه على كيفيات مختلفة "فيعرف أيما حال يقتضي طي ذكره وأيما حال يقتضي تعرفه مضمرا أو علما أو موصولا أو اسم إشارة أو معرفا باللام وأيما حال يقتضي تنكره وأيما حال يقتضي تقديمه على المسند وأيما حال يقتضي تأخيره عنه"[40]، فمقتضيات الحال هي طريقة إخراج المنظوم موافقًا للأحوال والمقتضيات.

والحال باعتبار الموافقة والمخالفة لظاهره، قسمان: مقتضى ظاهر الحال وخلاف مقتضى الظاهر، ولا فرق في المطابقة بين هذا وذاك، لأنّ «مقتضى الظاهر أخص من مقتضى الحال فإن كل مقتضى ظاهر مقتضى الحال، ولا ينعكس إلا جزئيا؛ لأن مقتضيات الأحوال مقتضى باطن الحال وإلى ذلك أشار بقوله (وقد يخرج الكلام) أى: يجرى (على خلافه) أى: خلاف الظاهر لاقتضاء الحال لذلك الخلاف لعروض اعتبار آخر ألطف من ذلك الظاهر (فيوضع المضمر) بسبب ذلك (موضع المظهر) ومعلوم أن الأصل وضع كل من المضمر، والمظهر مكانه»[41]؛ ويقول القزويني أنّ: «ظاهر الحال فهو الأمر الداعي بشرط أن يكون ذلك الأمر ثابتًا في الواقع فقط. فظاهر الحال أخص من الحال، فيكون مقتضى ظاهر الحال أخص من مقتضى الحال، فإذا خرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر كان سائرًا على مقتضى الحال»[42].

فليس بالضرورة أن يكون الكلام على مقتضى ظاهر الحال، فقد تتم المطابقة بخلاف مقتضى الظاهر، مثلا ظاهر الحال أن المنكر للخبر يحتاج إلى مؤكدات، أما خلاف مقتضى الظاهر فأن يأتي بالخبر خاليا من أصناف التوكيد لاقتضاء الضرورة ذلك، وكلاهما مطابقة لمقتضى الحال، فالإنكار حال مقتضاه التوكيد، ولكن دخيلا طرأ على عملية التوكيد فأحالها إلى غيره خالية من أجناس التوكيد، وهذا الدخيل يعد حالا بذاته وقد يكون فكريا أو عقليا أو عاطفيا أو بحكم المخاطب أو باعتبار نوع الخبر أو لضرورات أخرى.

وهذا في مجمل مطابقة الكلام لمقتضى الحال والبلاغة إنما هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذه هي أوسع قضايا البلاغة ويصلح أن يدخل ضمن هذه المطابقة أغلب ماذكرناه في المباحث السّابقة.

4. خاتمة:

في خاتمة هذه الدّراسة نرى أنّ المقام هو المتحكّم في عملية الإخراج اللّغوي للنّصوص، وأنّ الكلام لا يتمّ فهمه واستحسانه إلّا من خلال مناسبة المقام ومراعاة مقتضاه، ومن خلال هذه المراعاة نستخلص جملة من النتائج أهمها:

- وجوب إلمام المتكلّم بطبقات سامعيه ومعرفة مراتبهم الاجتماعية واللغوية والعقلية، ومراعاة هذه المعارف ضمن سياق الكلام، لأنّ الإخلال بها ينجم عنه غموض المعنى أو ضياع المقصد أو سوء الإفهام.

- إنّ القرآن الكريم حريص على مراعاة أحوال النّاس، فخاطب كلّ صنف بما يليق به، فجعل للعوام خطابًا وللخواصّ خطابًا وللعرب الفُصحاء خطابا ولغيرهم خطابًا، ووازن بين أقدار الخطاب وأقدار المُخاطبين.

- إنّ الكلام يحسن بقدر مطابقته المقام ويقبُح بقدر عدم مطابقته لها، وعلى هذا قد يكون الكلام الفصيح مُستقبحا إذا لم يكن مقرونًا بسياق يناسبه، وقد يكون الكلام الغريب والساذج بليغًا إذا جيء به مطابقًا لمقتضاه.

- للمقام أهمياتٌ متعدّدة تتجلّى في فهم الخطاب، وتوضيح مُبهماته، وتوجيه مدلولاته، ويتحكّم في كيفيّة إخراجه، وإنّما تتغير كيفية الإخراج بتغيُّر مُقتضى المقام.

- إنّ الكلام ذو مواضيع وأغراض متعدّدة، ولكل موضوع وغرض نمط من النظم يلائمه، فيحتاج قدرًا ملائما به من الألفاظ والمعاني تليق بكلّ مقصد من مقاصد الكلام.

- إنّ التراكيب تكون موافقة للمقام من خلال أحوالها الطارئة عليها من تعريف وتنكير وتقديم وتأخير وذكر وحذف وإيجاز وإطناب.. ولكلّ حال من هذه الأحوال مقام يليق بها ويقتضي مجيئها مخصوصة بكيفيّة دون أخرى حتّى تكون مُطابقة لمُقتضى الحال.

- ومن خلال هذه الدّراسة يظهر أنّ البلاغة العربية باعتبارها درسًا اهتمّت بكيفية الإخراج الموافقة للمقام ضمن حديثها عن مطابقة المقام، ولم تعطِ الاعتبار الكافي لما يفوق حدود هذه الكيفيات، ونختصّ من ذلك الدّور الإفهامي للمقام وكيفية إسهام المقام في صناعة الكلام وتراصف عناصره ..

مراجع البحث وإحالاته:

1 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير نصر الله ضياء الدين (المتوفى: 637هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة،- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- الفجالة بالقاهرة، ج178/1.

2 علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني": محمد أحمد قاسم - محيي الدين ديب، منشورات المؤسسة الحديثة للكتاب- طرابلس/ لبنان، الطبعة: الأولى، 2003م، ص5.

3 البيان والتبيين: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، ج90/1، وينظر: الصناعتين "الكتابة والشّعر": العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، 1419هـ، ج16/1.

4 المصدر نفسه: الجاحظ، ج90/1.

5 الحيوان: الجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ، ج64/1.

6 ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي مصطفى صادق (المتوفى: 1356هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثامنة، 1425هـ/ 2005م، ص135.

7 النبأ العظيم: دراز عبد الله (المتوفى : 1377هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع/ طبعة مزيدة ومحققة –القاهرة، 1426هـ- 2005م، ص147.

8 ينظر: المصدر نفسه: عبد الله دراز، ص147، وينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: المطعني عبد العظيم، (أصلها رسالة دكتوراه) مكتبة وهبة -القاهرة، الطبعة: الأولى، 1413هـ/ 1992م، ج163/1.

* ينظر: المثل السائر: ابن الأثير، ج177/1.

9 ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي، ص158.

10 الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، البخاري محمد بن إسماعيل (المتوفى: 256هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) (ومع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا) الطبعة: الأولى، 1422هـ، ج37/1.

11 المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (صحيح مسلم)، مسلم أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج11/1.

12 الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ابن الأثير ضياء الدين، المحقق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ، ص147، والحديث على طرق لا تختلف في المعنى كقوله: «أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم» البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو 400هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر– بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ/ 1988م، ج282/7، وقوله: «إني أمرت أن أكلم الناس على قدر عقولهم»، نفسه: ج29/8.

13 سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن عمرو الأزدي (المتوفى: 275هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،ج261/4، والحديث ضعيف، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَحَدِيثُ يَحْيَى مُخْتَصَرٌ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «مَيْمُونٌ لَمْ يُدْرِكْ عَائِشَةَ»، انظر السلسة الضعيفة 1894 ، ضعيف الجامع 1344. وفي مقدمة صحيح مسلم: «وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ مَعَ مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ، مِنْ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 76)» "صحيح مسلم: ج7/1".

14 المثل السائر: ابن الأثير، ج178/1، شرح المفردات: «1- نهد إحدى قبائل اليمن. 1- أصل الغور ما تداخل من الأرض وانهبط، وقيل: كل ما انحدر سيله مغربًا فهو الغور. 2- الميس: شجر تتخذ منه الرحال للينة وقوته، ويطلق على الرحال نفسها. 3- الصبير السحاب الكثيف. 4- الخبير: العشب. 5- استعضد الثمرة: اجتناها, والبربر: ثمر الأراك، وكانوا يأكلونه وقت الجدب لقلة الزاد» "المثل السائر: 178/1، الهامش والشرح للمحقّق".

15 المثل السائر: ابن الأثير، ج179/1، شرح المفردات: «1- المخض: اللبن الخالص, ومخض اللبن: أخذ زبده، والمذق: اللبن الممزوج بالماء، والفرق: القطيع من الغنم. 2- لدثر: المال الكثير, وقيل: هو الكثير من كل شيء. 3- الثمد: الماء القليل لا مادة له، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف..»" المثل السائر: 179/1 الهامش والشرح للمحقّق"، والحديث كاملًا موجودٌ في: تاريخ المدينة لابن شبة: ابن شبة أبو زيد عمر البصري، (المتوفى: 262هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد– جدة، 1399هـ، ج559/2 إلى 564.

16 أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب: بن قتيبة أبو محمد عبد الله الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ج18/1.

17 البيان والتبيين: الجاحظ،، ج131/1.

18 صحيح مسلم: ج5/1 -مقدمة الإمام مسلم رحمه الله-.

19 عيار الشعر: بن طباطبا أبو الحسن محمد العلوي (المتوفى: 322هـ)، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي– القاهرة، ص9، وينظر: الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص27، وينظر: البيان والتبيين: الجاحظ، ج92/1-93.

20 الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني أبو المعالي جلال الدين الخطيب (المتوفى: 739هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة، ج43/1.

21 البيان والتبيين: الجاحظ، ج95/1.

22 التذكرة الحمدونية: ابن حمدون أبو المعالي علي البغدادي (المتوفى: 562هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ، ج302/7-303، وينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (المتوفى: 963هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت، ج294/1-295، ينظرالأبيات والقصة في: ديوان بشار بن برد: بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: ابن عاشور محمد الطاهر التونسي، ورازرة الثقافية الجزائرية - الجزائر، 2007م، ج97/1.

23 ينظر: المصدر نفسه: ابن حمدون، ج302/7-303، والبيت من معلّقة امرئ القيس، ينظر: ديوان امرِئ القيس: امْرُؤُ القَيْس بن حجر الكندي (المتوفى: 545 م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة– بيروت، الطبعة: الثانية، 1425هـ/ 2004م، ص14.

24 سر الفصاحة: ابن سنان أبو محمد عبد الله الخفاجي (المتوفى: 466هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1402هـ/ 1982م، ص184، والبيت في ديوان جرير(أَتَصْحُو بل فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِ)، ديوان جرير: جرير بن عطية الكلبي (المتوفى: 110هـ)، شرح: محمد بن حبيب، المحقق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف- القاهرة، الطبعة: الثالثة، ج87/1.

25 البرهان في علوم القرآن: الزركشي بدر الدين بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376هـ/ 1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ج200/2- 201، وبدائع الفوائد: محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ج9/4-10.

26 منهاج البلغاء وسراج الأدباء: القرطاجني أبو الحسن حازم (المتوفي: 684)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1986م، ص188.

27 المصدر نفسه: القرطاجني، ص130.

28 مناهل العرفان في علوم القرآن: الزُّرْقاني محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة، ج106/1.

29 الموافقات: الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي (المتوفى: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، ج266/4.

30 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الأصبهاني أحمد أبو نعيم (المتوفى: 430هـ)، السعادة- بجوار محافظة مصر، 1394هـ/ 1974م، ج292/2.

31 اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة، 1427هـ/ 2006م، ص364.

32 الحيوان: الجاحظ، ج17/3.

33 جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: الهاشمي أحمد بن إبراهيم، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت، ص316، وينظر: المثل السائر: ابن الأثير، ج185/1.

34 ينظر: نقد الشعر: قدامة بن جعفر أبو الفرج البغدادي (المتوفى: 337هـ)، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، الطبعة: الأولى، 1302هـ، ص75.

35 ينظر: خصائص التعبير القرآني: المطعني، ج266/1 –وهذا ضمن حديث المطعني عن أسلوب القرآن-.

36 عيار الشّعر: ابن طباطبا، ص8-9.

37 الإيضاح: القزويني، ج52/1.

38 المصدر نفسه: القزويني، ج80/2 –الهامش والكلام للمحقق-، ومعجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، دار المنارة للنشر- جدة/ دار الرفاعي للنشر- الرياض، الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة ، ص84.

39 المصدر نفسه: القزويني، ج41/1 –الهامش والكلام للمحقق-.

40 ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي يوسف بن أبي بكر علي (المتوفى: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1407هـ/ 1987م، ص175، وينظر: معجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، ص84.

41 مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح: المغربي أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن محمّد بن يعقوب، المحقق: الدكتور خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلميّة –بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ، ج277/1.

42 الإيضاح: القزويني، ج80/2 –الهامش والكلام للمحقق-.

المصادروالمراجع:

* القرآن الكريم.

1) أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي مصطفى صادق (المتوفى: 1356هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثامنة، 1425هـ/ 2005م.

3) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني أبو المعالي جلال الدين (المتوفى: 739هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

4) بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية محمد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

5) البرهان في علوم القرآن: الزركشي بدر الدين بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى، 1376هـ/ 1957م.

6) البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو 400هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر– بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ/ 1988م.

7) البيان والتبيين: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ

8) تاريخ المدينة لابن شبة: ابن شبة أبو زيد عمر البصري (المتوفى: 262هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد- جدة، 1399هـ

9) التذكرة الحمدونية: بن حمدون أبو المعالي علي البغدادي (المتوفى: 562هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ

10) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ابن الأثير ضياء الدين (المتوفى: 637هـ)، المحقق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ

11) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): البخاري محمد بن إسماعيل (المتوفى: 256هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) (ومع الكتاب: شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا) الطبعة: الأولى، 1422هـ

12) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: الهاشمي أحمد بن إبراهيم، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت.

13) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الأصبهاني أحمد أبو نعيم (المتوفى: 430هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ/ 1974م.

14) الحيوان: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (المتوفى: 255هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1424هـ

15) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: المطعني عبد العظيم إبراهيم محمد، (أصلها رسالة دكتوراه) مكتبة وهبة -القاهرة، الطبعة: الأولى، 1413هـ/ 1992م.

16) ديوان بشار بن برد: بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: ابن عاشور محمد الطاهر التونسي، ورازرة الثقافية الجزائرية - الجزائر، 2007م.

17) ديوان امرئ القيس: امْرُؤُ القَيْس بن حجر الكندي (المتوفى: 545 م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة– بيروت، الطبعة: الثانية، 1425هـ/ 2004م.

18) سر الفصاحة: بن سنان الخفاجي أبو محمد عبد الله (المتوفى: 466هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1402هـ/ 1982م.

19) سنن أبي داود: الأزدي أبو داود سليمان بن عمرو (المتوفى: 275هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

20) الصناعتين "الكتابة والشّعر": العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، 1419هـ.

21) علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني": محمد أحمد قاسم - محيي الدين ديب، منشورات المؤسسة الحديثة للكتاب- طرابلس/ لبنان، الطبعة: الأولى، 2003م.

22) عيار الشعر: ابن طباطبا أبو الحسن محمد العلوي (المتوفى: 322هـ)، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي– القاهرة.

23) اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة، 1427هـ/ 2006م.

24) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير ضياء الدين (المتوفى: 637هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة،- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- الفجالة بالقاهرة.

25) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (صحيح مسلم)، مسلم أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

26) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: العباسي أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن (المتوفى: 963هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت.

27) معجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، دار المنارة للنشر- جدة/ دار الرفاعي للنشر- الرياض، الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة.

28) مفتاح العلوم، السكاكي يوسف بن أبي بكر علي (المتوفى: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1407هـ/ 1987م.

29) مناهل العرفان في علوم القرآن: الزُّرْقاني محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

30) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: القرطاجني أبي الحسن حازم (المتوفي: 684)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1986م.

31) الموافقات: الشاطبي إبراهيم بن موسى الغرناطي (المتوفى: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.

32) مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح: بن يعقوب المغربي أبو العبّاس أحمد، المحقق: الدكتور خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلميّة –بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ

33) النبأ العظيم: دراز عبد الله (المتوفى : 1377هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع/ طبعة مزيدة ومحققة – القاهرة، 1426هـ- 2005م.

34) نقد الشعر: قدامة بن جعفر أبو الفرج البغدادي (المتوفى: 337هـ)، مطبعة الجوائب– قسطنطينية، الطبعة: الأولى، 1302هـ.